واقع التربية التحضيرية في الجزائر

شاعو أمال، أ.د.معروف لويزة

مخبر مجتمع تربية عمل، جامعة تيزي وزو

ـ **ملخص:** *لقد تأكد لدى المجتمعات أن التنمية الفردية والجماعية لـــن تـــأتي إلا بالإصلاح المستمر لأنظمتها التربوية والمدرسة هي الفضاء المؤسساتي الأول الذي يجب ان يساعد ويشجع على تفتح ضروري لتنمية الأطفال. وتعد التربية التحضيرية من أهـــم المراحل التربوية التي يمر بها الطفل فهي مرحلة حساسة في تشكيل أساسيات نموه مـــن النواحي المختلفة : الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية ويتمتع بها الأطفال في ســـن خمس سنوات استعدادا لإكسابهم الحد المطلوب من الكفاءات والمؤشرات التي تسمح لهـــم بمباشرة المرحلة التعليمية في المرحلة الابتدائية .*

الكلمات المفتاحية : *الطفل، التربية التحضيرية.*

-Résumé : *L'éducation préparatoire est l'une des étapes éducatives les plus importantes pour l'enfant. C'est le premier espace institutionnel nécessaire à son développement afin de lui donner le niveau requis de compétences qui lui permet de commencer le cycle éducatif dans l'enseignement primaire. C'est une étape sensible dans la formation des fondamentaux et de la croissance dans divers aspects : physiques, mentaux, sociaux et émotionnels. De plus, cette étape éducative est appréciée par les enfants à l'âge de cinq ans.*

Mots clés*: enfant, éducation préparatoire*

-Abstract: *Preparatory education is one of the most important educational stages for the child. It is the first institutional space that should help and encourage the child's openness to the world necessary for his/her development. It is a sensitive step in the formation of the fundamentals of growth in various aspects: physical;*

mental; social and emotional. Furthermore, it is appreciated by children at the age of five as it gives them the required level of skills and indicators that allow them to start the education cycle in primary education

***Key words**: child; preparatory education*

– **مقدمة:** ما من شك أن التربية من أهم القطاعات الاستراتيجية التي ترتكز عليها الدول في بناء نهضتها، ولما كانت بهذه الأهمية أولتها بلادنا جانبا من الاهتمام عبر سنوات الاستقلال الوطني، وفي سنة 2003 تبنت الدولة الجزائرية برنامجا إصلاحيا عميقا مست من خلاله وزارة التربية الوطنية كل الجوانب البيداغوجية، بدءا بالمناهج التعليمية والكتب المدرسية ثم توجهت بإعادة تنظيم الزمن الدراسي وإعادة هيكلة السنة الدراسية استجابة لانشغال المجتمع، قصد الوصول بالمدرسة الجزائرية إلى مطاف المدارس العالمية.

وكون التعليم التحضيري يعتبر من أهم المراحل التربوية والحياتية التي يمر بها الطفل لما له من أهمية كبيرة في تحضير الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 05 و06 سنوات للالتحاق بالتعليم الابتدائي، فهي مرحلة حساسة في تشكيل أساسيات نموّهم من النواحي المختلفة (الجسمية، العقلية، الاجتماعية والانفعالية). فالتربية التحضيرية وظيفة ثقافية/ اجتماعية فهي عبارة عن وحدة اجتماعية متنوعة في بناء شخصية الفرد، بواسطتها يتعلم الطفل كيف يعيش ويتعامل مع الآخرين على مستوى غير مستوى الأسرة وفيها يتعلم كيف يقوم بأعمال معينة وكيف يتنافس مع الآخرين أو يتعاون معهم وكيف يكوّن اتجاهات معهم وكيف ينجح وكيف يفشل

وهذه الوظيفة ما هي إلا وسائل تعد له العدة ليتعلم كيف يتعامل مع العالم الخارجي.

لقد احتل الاهتمام بتوفير التربية التحضيرية للأطفال صدارة الأولويات، لاسيما في العقود الأخيرة، بالنسبة للأمم المتحدة ومنظماتها ذات الصلة بالطفولة، فقد أوصى مؤتمر جومتين حول "التربية للجميع" المنعقد سنة 1990 بـــ "جعل التربية التحضيرية جزء لا يتجزأ من المفهوم الشامل للتعليم الأساسي". ويمثل ذلك الخطوة الأولى في طريق التواصل إلى التعليم للجميع.

لقد تزايد الاهتمام والوعي بأهمية التربية التحضيرية وصار توفيرها انشغالا يمثل أولوية في خطط التعليم لدى بعض البلدان، ويحتل لدى بعضها الأخر مكانا متقدما على جدول السياسة الوطنية فعلى صعيد المؤشرات الكمية ،أشار منهاج التربية التحضيرية (2004)، فإن التربية التحضيرية متطورة جدا في ثلاث مناطق من العالم هي: أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية حيث تفوق نسبة الأطفال المستفيدين من التربية التحضيرية 95 %، تليها البلدان الواقعة في منطقة أمريكا اللاتينية والكاريبيب بنسبة قدرها 80% وتحتل البلدان العربية الرتبة ما قبل الأخيرة بنسبة تغطية لا تتعدى 30% وتأتي بعدها محتلة الرتبة الأخيرة بلدان منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بنسبة قدرها 22 % .

يرى بوشينة (2008) أكد Bloom من خلال نتائج الدراسات والبحوث التي أجراها أن سرعة نمو ذكاء وتطوره تكون كبيرة في هذه المرحلة. كما تبين الدراسات التي أجراها (توليسيك) Tolicic أستاذ علم

النفس بإحدى جامعات (يوغوسلافيا) سابقا وكان موضوعها: مدى تأثير مؤسسات التربية التحضيرية على تقدم الأطفال بنجاح في المراحل التعليمية الموالية وذلك عن طريق ملاحظة سلوك مجموعتين من الأطفال، الأولى: تجريبية والثانية ضابطة. وقد كشفت هذه الدراسات هذه عن: تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في إظهار الميل نحو الدراسة. هذه الظاهرة التي كان يعبر عنها أطفال المجموعة التجريبية من خلال الإقبال على عملية التعلم وعمله المتقن في أداء الواجبات الدراسية. كما لاحظ زيادة مستوى النمو اللغوي عند أفراد المجموعة التجريبية بالمقارنة مع أفراد المجموعة الضابطة. وقد تمثل هذا في غنى رصيدهم اللغوي. وتفوق المجموعة التجريبية على نظيرتها الضابطة في مجال التفاعل مع النشاطات التعليمية/التعلمية. كما تبين أن أطفال المجموعة التجريبية أكثر طموحا نحو تأكيد الذات من أطفال المجموعة الضابطة.

- **نبذة تاريخية عن التربية التحضيرية:** ذكر في الدليل التطبيقي لمنهاج التربية التحضيرية أطفال 6/5 سنوات (2004) أن أفلاطون (427–348 ق.م)، كان من السباقين إلى التفطن لأهمية التربية التحضيرية حيث يقول: "طالما كان الجيل الصغير حسن التربية ويستمر كذلك، فإنّ لسفينة دولتها الحظ في سفرة طيبة".

أما عند المسلمين احتل التعلم والتربية مكانة عالية واقترنت الرسالة بالقراءة وطلب العلم. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أطلب العلم من المهد إلى اللحد". وأثرى هذا الفكر التربوي العديد من المفكرين والفلاسفة منهم ابن سينا، القابسي، الفرابي، الغزالي، ابن خلدون. هذا الفكر يترجم

تواصل كلّ من الفكر العربي الإسلامي مرورا بالفكر اليوناني إلى الفكر الغربي الحديث.بينما عند الغربيين، احتوى الفكر التربوي كلا من إسهامات كومنيوس، بستا لوزي، روسو، فرويل، كلاباريد ومنتسوري التي تتمحور فكرتها حول احترام النزعة الاستقلالية عند الطفل ونمو شخصيته.

ووفق الدليل المنهجي للتعليم ما قبل المدرسي (1996) يعترًف بالقسيس" جوهان أموس كومنيوس" 1593/ 1671 بأسبقية إدخال التعليم التحضيري في إطار نظام تعليمي يسترسل بالتعليم ابتدائي ثم الثانوي ثم العالي وكان ذلك سببا في تلقيبه بالمبشر الأول للتربية الحديثة ويظهر اهتمامه بالطفولة من خلال كتابه الذي أصدره بالاتنية وهي اللغة السائدة والمعمول بها إلى يومنا هذا في أوساط رجال الدين تحت عنوان عالم الموضوعات الحسية المصورة. ويعد بدون منازع أول كتاب للأطفال معلل بالصور ومن رؤاه أن النجاح يتحقق بفضل الاعتناء بالطفولة ووجوب توجيه الأطفال منذ صغرهم نحو أشياء المحيط المادية من اجل احتكاك الطفل بها للحصول على المعرفة والخبرات. بعد اقل من قرن بعده، ظهر عالم التربية السويسري "بستالوزي" 1827/1746 الذي اهتم خاصة بدراسة الأطفال الذين لم تتوفر لهم شروط التربية وأنشأ لهم مدارس كان يسيرها هو بنفسه ويوفر فيها للأطفال فرص الراحة والأجواء العائلية وكان في حياته من المطالبين بإنشاء مؤسسات ما قبل المدرسة تتكفل بالأطفال في سنوات عمرهم الأولى وكان من المدافعين على التخلص من العنف والعقاب البدني في المدارس.

ويلقب بستالوزي بالمبشر الثاني للتربية الحديثة من أرائه التربوية المتمثلة في:

- العمل على تنمية استعدادات وقدرات الطفل.
- تشجيع الطفل عل ممارسة نشاطه بكل حرية وتلقائية لتعلم الاستقلالية الذاتية والفكرية.
- تفادي عملية العقاب التي تنفر الطفل من التربية والتعليم.

يأتي بعد ذلك العالم الألماني "فروبل" 1852/1782 ليكون أول مؤسس للروضة في التاريخ بمعناها الحديث وتحقق له ذلك عام 1840 بمدينة كلانكنبرغ وقد تأثر فروبل بأفكار بستالوزي وعايشه زمنيا خلال 45 سنة. وكان يسمى الروضة كل المدارس التي تستقبل الأطفال فيما بين الثالثة والتاسعة من العمر ومن أرائه التربوية في التحضيري ما يلي:

- الاهتمام بلعب الأطفال والقيام بحركات تلقائية
- المنهج يجب ان يشمل نشاطات كالرسم والتلوين والأغاني ودراسة الحيوانات والنباتات بما يسمح به مستوى الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة.
- مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال في نواحي النمو والاستعدادات والقدرات
- تهيئة القسم بما يلاءم الأطفال وإثراؤه بالألعاب التربوية .

وكانت أيضا للآنستين "اودمار ولا فونديل" تجربة في هذا المجال وأسست مع كلابريد مركز التربية الوظيفية بجنيف في سويسرا عام 1913 والمعروف باسم دار الصغار وأعمالهما ساعدت (بياجي) في أعماله الخاصة بالنمو. ولم تشح التجربة على الآنستين في إعداد وتصميم عدد هائل من

الألعاب الخاصة بالأعمار الأولى مبادئ هذه الألعاب مازالت قائمة إلى يومنا هذا.

وتأتي "سميت هيل" 1946/1868 وهي تلميذة فروبل تؤكد على المنهج التعليم الفردي وتعتقد بقيمة اللعب في تعليم الأطفال ويعود لها الفضل في إعداد أكثر الأناشيد شيوعا في عالم الغرب عند الأطفال مثل happy birthday to you، ومن إسهاماتها كذلك تصميم عدد من ألعاب التركيب التي تسمح للطفل ببناء وإعداد موضوعات مختلفة (أورد في: جون، 2005).

- تطور المدرسة التحضيرية في الجزائر:

✓ **قبل الاستقلال:** استمرت المدارس القرآنية والكتاتيب على أداء وظيفتها الحضارية وفي مواجهة مشروع المدرسة الاستعمارية ذات الطابع التعليمي التبشيري. وكذا المدارس النظامية العمومية التي اعتمدت القسم التحضيري المدمج قصد تقريب الأطفال من السنة الأولى ابتدائي. وفي نفس السياق، يرى ايت مهدي (2008) ان الزوايا والمساجد عملت على هذا النحو من التلقين والتعليم، فكانت تستقبل الأطفال وتحفظهم ما تيسر لعقولهم من سور قرآنية، إلى جانب تعليمهم الحروف الهجائية وبعض الكلمات والجمل. وقد اعتادت تراجم الشخصيات الأدبية والعلمية في العالم العربي والإسلامي الإشارة إلى مرحلة الكتاب التي تعتبر المحطة الأولى في مسارها الدراسي. ويستمر هذا الدأب في عديد من الأسر إلى يومنا هذا، فما أن يبلغ الطفل الثالثة من عمره حتى يرسل إلى المسجد، ولا يدخل المدرسة

إلا وقد حفظ ما تيسر له من القرآن الكريم. وقد تكون لهذه الطريقة عيوب، منها:

1. خضوع التعليم في الكتاب والمساجد لطريقة ورغبة المعلم في إيصال معلوماته إلى الطفل.

2. افتقاده إلى الأهداف والمنهجية.

3. كونه غير إجباري لا يلزم الأولياء تسجيل أبنائهم، إلا أنها لا تخلو من محاسن وإيجابيات، مثل: تنمية الثروة اللغوية للطفل عبر تزويده بألفاظ وتعابير. وتعويده على الحفظ والاستظهار لتقوية هذه الملكة. وكونها قاعدة ارتكاز تعتمد لتحضير الطفل للدخول إلى المدرسة.

✓ **بعد الاستقلال:** وجدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال في مرحلة إعادة بناء شامل للمنظومة التربوية لاستيعاب أكبر عدد ممكن من التلاميذ وتوجيه التعليم العام، حيث أممت المدارس وأدمجت التعليم القرآني في النظام العام. وما بقي من المؤسسات التربوية التحضيرية تكفلت بها قطاعات مهنية واجتماعية أخرى إلى أن صدرت أمرية 16 افريل 76 التي حددت الإطار القانوني ومهام وأهداف التعليم التحضيري. وقد تم فتح أقسام التربية التحضيرية في مدارس ابتدائية في السنة الدراسية 1982/1981 ومنذ ذلك الحين أخذ نظام التربية التحضيرية بكافة مكوناته الكمية والتشريعية والتربوية يتطور ولو بشكل محدود. أما الجانب البيداغوجي، فقد عرف صدور وثيقة توجيهية تربوية سنة 1984 تؤكد على أهمية التربية التحضيرية، ثم اتبعت بوثيقة تربوية مرجعية للتعليم التحضيري سنة 1990 تحدد أهداف النشاطات وملمح الطفل والبرنامج المقترح وكيفية تنظيم

الفضاء المادي للقسم التحضيري، وبعد ذلك جاءت وثيقة منهجية سنة 1996 المتمثلة في "دليل منهجي للتعليم المدرسي". وقد تطور مفهوم هذه المرحلة عن مفهوم التعليم إلى مفهوم التربية حيث نصت الوثائق الرسمية التنظيمية والبيداغوجية على أن الأطفال 4-5 سنوات يستفيدون من تعليم تحضيري يؤهلهم إلى الدخول إلى السنة الأولى من التعليم الأساسي سابقا وإلى استدراك جوانب النقص ومعالجتها، بينما نص منهاج التربية التحضيرية الأخير على الاهتمام بالجانب التربوي لإنماء شخصية الطفل قبل الجانب المعرفي (أورد في : التعليم التحضيري واقعه وسبيل تطويره، 1998).

واتخذ مجلس الوزراء المنعقد في 30 أفريل 2002 قرارا بالشروع في التوسيع التدريجي للتربية التحضيرية بهدف الوصول إلى تعميمها على الأطفال في سن الخامسة من العمر. وهذا في إطار "إصلاح النظام التربوي" وتنفيذا لخطة الوزارة في مجال توسيع التربية التحضيرية تم إعداد منهاج التربية التحضيرية والدليل المرفق له ووضعها موضع التطبيق الميداني في السنة الدراسية 2006/2005، وقد سبق ذلك تنظيم عمليات إعلامية وتكوينية جهوية لفائدة عينة من مفتشي التعليم الابتدائي بجميع الولايات، وكل مفتشي التربية والتكوين للتعليم الابتدائي، كما أعقبها ملتقى وطني أطره خبراء أجانب في مجالات التربية التحضيرية. وكانت لهذه العمليات والملتقيات امتدادات محلية شملت مفتشين ثم معلمين.

وعلى صعيد آخر تم إنجاز وثيقة تكوينية في مجال علم نفس الطفل خاصة بمرحلة النمو ما بين الثالثة والسادسة من العمر، موجهة لمعلمي التربية التحضيرية. وفي السنة الدراسية 2006/2005 وزعت استمارة

"رغبات العمل" في أقسام التربية التحضيرية، وقد عبر 1800 معلما ومعلمة عن رغبتهم في العمل في أقسام التربية التحضيرية في السنة الدراسية 2009/2008 وقد نظمت محليا لهؤلاء المعلمين وغيرهم عمليات تكوينية تخص تقنيات التنشيط في أقسام التربية التحضيرية والعلاقات مع الأطفال (اورد في: المربي، 2008).

– **مؤسسات التعليم التحضيري في الجزائر:** إذا كان المفكرون قد ركزوا اهتمامهم حول معرفة طبيعة الطفل واحتياجاته، فإنّ المجتمعات عملت على إنشاء مؤسسات قصد التكفل به ومنها المجتمع الجزائري الذي انتشرت فيه مؤسسات استقبال الأطفال.

بيّن زعيمي (2002) أنّ المؤسسات التي تتكفل بتربية الأطفال ما قبل التمدرس الإلزامي متعددة وتختلف تسميتها منها هو تابع لوزارة التربية الوطنية ومنها ما هو تابع للبلديات والشركات والهيئات النظامية والخواص أهمها:

- ✓ **الحضانة:** هي مؤسسة اجتماعية تربوية تختص بالرعاية الصحية والغذائية وهي أقرب في طبيعتها إلى المنزل من المدرسة؛ ويقوم العمل فيها على أساس النشاط واللعب والرعاية الصحية والاجتماعية.
- ✓ **الروضة:** هي مؤسسة اجتماعية تربوية مختصة في توفير الشروط التربوية المناسبة والجو الملائم وإيقاظ وتنمية قدرات الأطفال
- ✓ **المساجد:** هي مؤسسة اجتماعية ينشئها المجتمع المسلم بهدف تأهيل النشء للحياة الاجتماعية من خلال التنشئة المنضبطة بقيم الإسلام ومبادئه.

✓ **القسم التحضيري:** هو القسم الذي يقبل فيه الأطفال المتراوح أعمارهم بين 4-6 سنوات في حجرات تختلف عن غيرها بتجهيزاتها ووسائلها البداغوجية، كما أنها المكان المؤسساتي الذي تنظر فيها المربية للأطفال على انها مازال طفلا وليس تلميذا وهي بذلك استمرارية للتربية الأسرية تحضيرا للتمدرس في المرحلة المقبلة مكتسبا بذلك مبادئ القراءة والكتابة والحساب.

- **أهداف التربية التحضيرية:** لقد أشار حثروبي (2008) أنه جاء في قانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04/08 المؤرخ في 2008/01/23 في مادة 38 ما يلي:

"التربية التحضيرية هي المرحلة الأخيرة للتربية ما قبل المدرسة، وهي التي تحضر الأطفال اللذين تتراوح أعمارهم بين 05-06 سنوات للالتحاق بالتعليم الابتدائي"

أما في المادة 39 فقد نص على أن التربية التحضيرية تهدف بالخصوص إلى:

- العمل على تفتيح شخصية الأطفال بفضل أنشطة اللعب التربوية وتوعيتهم بكيانهم الجسمي، لاسيما بإكسابهم عن طريق اللعب مهارات حسية وحركية. وكذا غرس العادات الحسنة لديهم بتدريبهم على الحياة الجماعية. وتطوير ممارستهم اللغوية من خلال وضعيات التواصل المنبثقة من النشاطات المقترحة من اللعب. ثم إكسابهم العناصر الأولى للقراءة والكتابة والحساب من خلال نشاطات مشوقة وألعاب مناسبة.

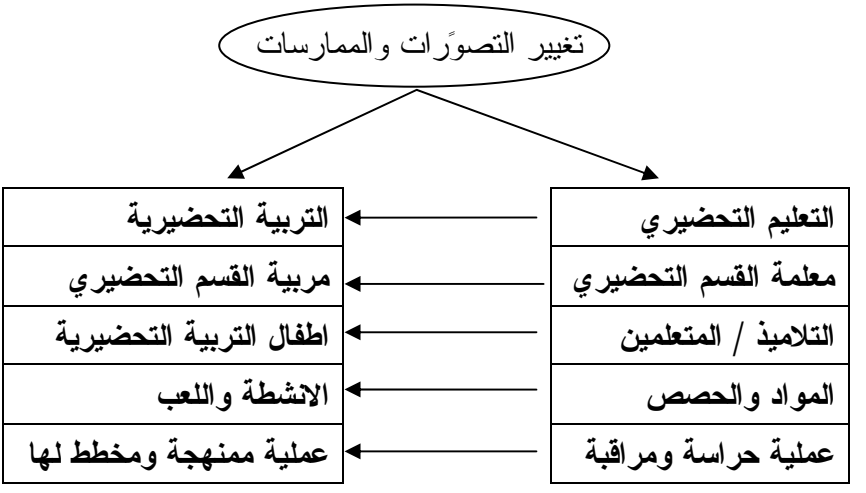

– **خاتمة:** لقد تراكمت الأدلة العلمية من فيزيولوجية وغذائية ونفسية، مبينة أن السنوات الأولى من عمر الطفل تعتبر حاسمة فيها يتصل بتكون الذكاء والشخصية والسلوك الاجتماعي. كما أشارت الدراسات جميعها أن نتائج التحصيل الدراسي في المرحلة الابتدائية وما بعدها لدى الأطفال الذين توفرت لديهم تربية تحضيرية، تفوق بشكل واضح نتائج التحصيل الدراسي لدى سواهم. وتؤدي التربية المبكرة إلى تقليل عدد المتسربين والراسبين وبالتالي تزيد من المردود الداخلي للنظام التربوي (التقليل من الهدر المادي والبشري). ثم إن الوقاية من المشكلات في مرحلة الطفولة اقل تكلفة من علاجها بعد ظهورها. وكذا تجويد نوعية التربية وإفساح المجال أمام ظهور القابليات والمواهب وتنميتها مما يحقق تكافؤ فرص نجاح أمام جميع الأطفال.

-قائمة المراجع:

1. ايت مهدي، ع. (2008) . مرحلة ما قبل التمدرس محطة انطلاق لابد منها. المربي، العدد 11.
2. بوشينة، س . (2008).نحو تعميم التربية التحضيرية في الجزائر. المربي، العدد 11.
3. التعليم التحضيري واقعه وسبيل تطويره. (1998). وزارة التربية الوطنية
4. المربي.(2008). التعليم ما قبل التمدرس. المجلة الجزائرية للتربية، 11.
5. جون، ا. (2005). مقدمة في تربية وتعليم الطفولة المبكرة (ترجمة سهى احمد امين، نصر وابراهيم عبد الله، الزريقات). عمان: دار الفكر.
6. حثروبي، م،ا.(2008، ديسمبر). الملتقى التكويني الولائي الخاص بالتربية التحضيرية . بثانوية هواري بومدين، الجزائر.
7. الدليل التطبيقي لمنهاج التربية التحضيرية أطفال 5/6 سنوات. (2004). وزارة التربية الوطنية: مديرية التعليم الأساسي. اللجنة الوطنية للمناهج.
8. زعيمي، م. (2002). مؤسسات التنشئة الاجتماعية. عنابة: منشورات جامعة باجي المختار.
9. مركز الأبحاث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الدليل المنهجي للتعليم ما قبل المدرسي.(1996). وزارة التربية الوطنية: المعهد التربوي الوطني.
10. منهاج التربية التحضيرية أطفال في سن 5-6 سنوات. (2004). اللجنة الوطنية للمناهج .
11. وثيقة تربوية مرجعية للتعليم التحضيري .(1990). المديرية الفرعية للتعليم المتخصص: المعهد التربوي الوطني.